في اختيار
الخليلة الصالحة والزوجة الموافقة
وما يحمد من عشرة النساء

النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن :

● قال أبو عمر (أحمد بن محمد بن عبد ربه) :

نحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في النساء وصفاتهن ، وما يحمد ويذم من عشرتهن ، إذ كان ذلك مقصورا على الخليلة (١) الصالحة والزوجة الموافقة .

والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها ، ولا تقر العين برؤيتها !! .

أقوال عنهن في القمة

قال الأصمعي (٢) :

حدثني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال :

● ما رفع أحد نفسه – بعد الإيمان بالله بمثل – مَنْكح (٣) صدق . ولا وضع أحد نفسه – بعد الكفر بالله بمثل – منكح سوء .

ثم قال :

● لعن الله فلانة ! ألفَتْ (٤) بني فلان بِيضاً طِوالاً ، فقلبتهم سودا قصاراً !! .

وفي حكمة سليمان بن داود عليه السلام :

---

(١) الخليلة : الزوجة التي أحلت بعقد نكاح .

(٢) الأصمعي : أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها ، عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين ، له عدة مؤلفات ، ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

(٣) منكح : زوجة ؛ لأنها موضع النكاح .

(٤) ألفت : وجدت .

● « المرأة العاقلة تبنى بيتها ، والسفيهة تهدمه » .

وقال :

● الجمال كاذب ، والحسنُ مُخْلِف ، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة [1] .

* * *

الرسول ﷺ وعكاف

مكحول عن عطية عن بشر عن عكاف بن وداعة الهلالى أن رسول الله ﷺ قال له : « ياعكاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا .

قال : فأنت إذن من إخوان الشياطين !! .

إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم .

وإن كنت منا فانكح فإن من سنتنا النكاح » .

وقالت عائشة رضى الله عنها :

● « النكاح رِقّ [2] ، فلينظر أحدكم من يُرق كريمته » .

وقال رسول الله ﷺ :

● « أوصيكم بالنساء فإنهن عَوانٍ [3] عندكم » .

---

(١) قد يطرأ على الجمال والحسن ما يغيرهما ، فهما عرض زائل ، أما القيم فتبقى ؛ لأن ما بالذات لايتخلف .

(٢) كلاهما فيه نوع من التملك ، فالزوج يتملك البُضع .

(٣) العانى : الأسير والضعيف ، والنساء عوان ؛ لأنهم يُظلمن ؛ فلا ينتصرن ! .

قولهم فى المناكح

(الزوجات)

صعْصَعَةُ وابنُ الظَّرِب :

أتيتنى تشترى كبدى

● خطب صعصعةُ بن معاوية إلى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنته عَمْرة – وهى أم عامر بن صعصعة – فقال : ياصعصعةُ : إنك أتيتنى تشترى من كَبِدى ، فارحم ولدى ، قَبِلْتُك أو رَدَدْتُك ، والحسيب كفء الحسيب (١) ، والزوج الصالح أبٌ بعدَ أب ، وقد أنكحتك خشيةَ ألا أجدَ مثلك ، أفرُّ من السر إلى العلانية .. يا معشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتُكم من غير رغبة ولا رهبة ، وأقسم لولا قَسْمُ الحظوظِ على قدر الجدود ما ترك الأولُ للآخر ما يعيش به .

ابن حُجْر ، وابن مُحَلّم :

وصية ذهبيــة

العباس بن خالد السهمى قال :

● خطب عمرو بن حُجر إلى عوف بن مُحلم الشيبانى ابنته : أُمَّ إياس ، فقال :

نعم أُزَوِّجُكما على أن أُسَمِّيَ بنيها ، وأُزَوِّجَ بناتِها ، فقال عمرو بن حُجْر :

---

(١) الحسيب : ذو الحسب ، والحسب مفاخر الآباء وما يدل على شرف الأصل .

أما بنونا فنسميهم بأسمائنا ، وأسماء آبائنا وعمومتنا . وأما بناتنا فننكحهن أكفاءَهن من الملوك ، ولكنى أُصْدِقها [1] عقاراً فى كِنْدة ، وأمنحها حاجات قومها ، لاترد لأحد منهم حاجة ! ، فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه إياها ، فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها [2] فقالت :

أى بنية ، إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعُشَّك الذى فيه درجتِ [3] إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين [4] لم تألفيه ، فكونى له أمةً يكن لك عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا تكن لك ذخراً [5] :

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد [6] لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم إلا أطيب ريح ! .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهبة [7] وتنغيص [8] النوم مغضبة ! .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والإرعاءُ [9] على حشمه [10] وعياله ، ومِلَاك [11] الأمر فى المال حُسنُ التقدير ، وفى العيال حسن التدبير ! .

---

(١) أصدقها : قدم لها صداقها ومهرها .
(٢) أمها : أمامة بنت الحارث : هى زوجة محلم الشيبانى ، وكانت من النساء اللاتى عرفن بالعقل
(٣) العش الذى فيه درجت : بيت أبيك الذى بدأت خطواتك الأولى فيه .
(٤) قرين : صاحب وزوج .
(٥) تكن لك ذخرا : تدخرينه لما يُصلح حياتك .
(٦) تفقد الشىء : طلبه والاهتمام به ورعاية المظهر الجمالى .
(٧) ملهبة : المراد أنه يلهب ويغضب .
(٨) تنغيص : تكدير .
(٩) الإرعاء : الرعاية .
(١٠) حشمه : خدمه .
(١١) ملاك الأمر : قوامه وعماده .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصن له أمراً ، ولا تُفشِنَّ له سراًّ [1] ؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره [2] ، وإن أفشيت سره ، لم تأمنى غدره ؛ ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتما [3] ، والكآبة [4] بين يديه إن كان فرحا .

فولدت له الحارث بن عمرو جَدَّ امرىء القيس الشاعر .

زرارة ولقيط وابنة ذى الجدين

من أحسن . .. أنا ، أم لقيط ؟

● الشيبانى قال : حدثنا بعض أصحابنا أن زراة بن عدس نظر إلى ابنه لقيط فقال : مالى أراك مختالا ؟ كأنك جئتنى بابنة ذى الجدين أو مائة من هجائن النعمان [5] ! فقال : والله لا يمس رأسى دُهنٌ حتى آتيك بهما أو أبلى عذراً ! فانطلق حتى أتى ذا الجدين — وهو قيس بن مسعود الشيبانى — فوجده جالسا فى نادى قومه من شيبان ، فخطب إليه ابنته علانية ، فقال له : هَلَّا ناجيتنى ؟ ومن أنت ؟ قال : لقيط بن زرارة ، قال : لا جرم[6] ، لا تبيتن فينا عزباً ولا محروما ! ، فزوجه وساق عنه المهر وبنى بها من ليلته تلك .

ثم خرج إلى النعمان ، فجاء بمائتين من هجائنه ، وأقبل إلى أبيه وقد وفى نذره ، فبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس ، فخرج لقيط يتلقاها فى الطريق ، ومعه ابن عم له يقال : قراد ، فقال لقيط :

---

(١) لا تفشين : لا تخرجين ولا تنشرين .

(٢) أوغرت صدره : ملأت صدره غيظا وحقداً .

(٣) مهتما : حزينا مهموما .

(٤) الكآبة : الانقباض والحزن ، والأم حريصة على تحقيق المشاركة الوجدانية بين الزوجين حتى تقوم حياتهما على أسس راسخة .

(٥) الهجان من كل شىء : خياره ، ومن الإبل : البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع .

(٦) لا جَرَم : أى لابد ، أو لا محالة ، أو حقا ، وقد تحول إلى معنى القسم فيقال : « لا جَرَم لأفعلن » .

هاجت علىَّ ديارُ الحىِّ أشجاناً
واستقبلوا من نوى (١) الجيران قربانا
تامت (٢) فؤادك لم تقض التى وعدت
إحدى نساء بنى ذهل بن شيبانا
فانظر قراد ، وهل فى نظرة جزعٌ
عرض الشقائق ، هل بينت أظعانا
فيهن جارية نضح العبير بها
تُكسى ترائبها درّاً ومَرجانـا
كيف اهتديت ولا نجم ولا علم
وكنت عندى نئوم الليل وسنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت : مُرُّوا بى على أبى أودعه ! فلما ودعته قال لها :

يابنية : كونى له أمة يكن لك عبداً ، وليكن أطيب طيبك الماء ثم لا أذكرت (٣) ، ولا أيسرت (٤) ؛ فإنك تلدين الأعداء ، وتقربين البعداء ، إن زوجك فارس من فرسان مضر ، وإنه يوشك أن يقتل أو يموت ؛ فإذا كان ذلك ، فلا تخمشىَ (٥) عليه وجها ، ولا تحلقى شعراً ! .

فلما قتل لقيط تحملت إلى أهلها ، ثم مالت إلى محلة عبد الله بن دارم فقالت : نعم الأحماء كنتم يابنى دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيرا فلم أر مثل لقيط .

ثم لحقت بقومها ، فتزوجها ابن عم لها ، فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط ، فقال لها زوجها : أى يوم رأيت فيه لقيطا أحسن فى عينك ؟ .

---

(١) نوى الجيران : تحولهم وانتقالهم من مكان إلى آخر ، والنوى البعد .
(٢) تيمه الحب : عبَّده وذلَّله فهو متيم .
(٣) لا أذكرت : لا ولدت الذكور ؛ لأنهم سوف يكونون أولاد أعدائه فمن رأى العرب أن البنين هم أولاد الأبناء فقط ولذلك يقولون :
بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد
(٤) أيسرت المرأة سهلت عليها الولادة ، ولا أيسرت : دعاء عليها بولادة عسرة .
(٥) خمش الوجه : خدشه ولطمه .

قالت : خرج يوما يصطاد ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتانى مختضبا بالدماء ، فضمنى ضمة ، ولثمنى لثمة ؛ فليتنى مِتُّ ثَمةَ ؛ فخرج زوجها ففعل مثل ذلك ثم أتاها ، فضمها ولثمها ثم قال لها : من أحسن ، أنا أم لقيط عندك ؟ .

فقالت : « مرعى ولا كالسعدان » (١) .

★ ★ ★

(١) السعدان : نبت له شوك ، وهو من أفضل ما ترعاه الإبل ، وفيه يضرب المثل فيقال : مَرْعًى ولا كالسعدان ! والمقصود : أن لقيطا لا يفضله آخر .

قيس بن زهير والنمر

لا تردوا الأكفاء عن النساء

● حكى أبو الفضل عن بعض رجاله قال :

قدم قيس بن زهير – بعد ماقتل أهل الهباءة – على النمر بن قاسط فقال : يا معشر النمر ، نزعت إليكم غريبا حزينا ، فانظروا لى امرأة أتزوجها ، قد أذلها الفقر ، وأدَّبها الغنى ، لها حسب وجمال ! .

فزوجوه على هيئة ما طلب ، فقال : إنى لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقى – إنى غيور فخور نَفور ، ولكنى لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى أفعل ، ولا آنف حتى أُظلم (١) .

فأقام فيهم حتى وُلد له غلام سماه : خليفة ، ثم بدا له أن يرتحل عنهم فجمعهم ثم قال :

يامعشر النمر ، إن لكم على حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم فآمركم بخصال ، وأنهاكم عن خصال : عليكم بالأناة ؛ فإن بها تنال الفرصة ، وسوِّدوا (٢) من لا تُعابون بسؤدده ، وعليكم بالوفاء ؛ فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع ما تريدون منعه قبل القسم ، وإجارة الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف بالعيال ، وأنهاكم عن الرهان ؛ فإنى به ثكلت مالكا ، وأنهاكم عن البغى ؛ فإنه صرع زهيرا ، وعن السرف فى الدماء . فإن يوم الهباءة أورثنى الذل ، ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ، ولا تردوا الأكفاء عن النساء فتحوجوهن إلى البلاء ، فإن لم تجدوا الأكفاء فخير أزواجهن القبور ، واعلموا

---

(١) أنف من العار : كرهه وترفع عنه وتنزه . ونفر منه .

(٢) سودوا : اجعلوه سيدا عليكم .

أنى أصبحت ظالما مظلوما : ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا ، وظلمت بقتلى من لا ذنب له .

الفاكه وزوجته هند فى ريبة

إليك عنى !!

● كان الفاكه بن المغيرة المخزومى أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنة عتبة ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال (١) يوما فى ذلك البيت وهند معه ؛ ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟! قالت : والله ما انتبهت حتى أنبهتنى ، وما رأيت أحداً قط . قال : الحقى بأبيك ! وخاض الناس فى أمرها ، فقال لها أبوها : يابنية ، العارَ وإن كان كذبا ، أبَيِّنى شأنك (٢) ؛ فإن كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن . قالت : والله يا أبت إنه لكاذب ! .

فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتى بشىء عظيم ؛ فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك .

فخرج الفاكه فى جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بنى مخزوم ، وخرج عتبة فى رجال ونسوة من بنى عبد مناف .

فلما شارفوا بلاد الكاهن ، تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أى بُنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر فى الناس خروجنا ؟! .

---

(١) قال : قضى وقت القيلولة والظهيرة فى مكان ظليل كالبيت ونحوه .

(٢) بيَّن الخبر : أذاعه ونشره ، وأبنى شأنك أى أطلعنى عليه وكاشفنى به .

قالت : ياأبت ، والله ما ذلك لمكروه قِبَلى ، ولكنكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ، ولعله أن يَسِمَنى (١) بسمة تبقى على ألسنة العرب .

فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبرهُ (٢) لك ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى (٣) عمد إلى حبة بر فأدخله فى إحليله ، ثم أوكى (٤) عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك فى أمر ، وقد خبأنا لك خبيئة فما هى ؟ قال : بُرة فى كمرة (٥) ، قال : أريد أين من هذا ، قال : حبة بر فى إحليل مُهر . قال : صدقت . فانظر فى أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومى لشأنك ! حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : قومى غير رفْحاء (٦) ولا زانية ، وستلدين ملكا يسمى : معاوية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنترت (٧) يدها من يده وقالت : إليك عنى ! والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ! فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية .

هند وزواجها من أبى سفيان

إنى لأخلاق مثل هذا لموافقه .. فزوجنيه !!

● وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : ياأبت ، إنك زوجتنى من هذا الرجل ، ولم تؤامرنى فى نفسى ، فعرض لى معه ما عرض ؛

---

(١) يسمنى : يصفنى من السمة وهى العلامة المميزة .. وكانت تخاف أن توصف بالزانية .
(٢) سأخبُره : سأختبره ؛ لأعرف حقيقته ، ومدى معرفته بالمستور .
(٣) أدلى : أخرج جروانه ليبول أو يضرب .
(٤) أوكى عليها : ربط عليها وغطَّى .
(٥) بُرَّة : حبة بُرّ وقمح فى رأس الإحليل .
(٦) رفحه ترفيحا : قال له : بالرفاء والبنين .
(٧) نترت يدها : جذبتها بشدة .. وإليك عنى : ابعد عنى ودعنى لشأنى .

فلا تزوجنى من أحد حتى تعرض على أمره ، وتبين لى خصاله ، فخطبها سهيل بن عمر ، وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاك سُهيلٌ وابن حرب وفيهما رضاً لك ياهندَ الهنودِ ومقنع
وما منهما إلا يُعاشُ بفضلـــه وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزَّأٌ وما منهما إلا أغـر سميدَع (١)
فدونك فاختارى فأنت بصيرة ولا تخدعى إنّ المخادع يخدع

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئا ، ولكن فسر لى أمرهما ، وبين لى خصالهما ، حتى أختار لنفسى أشدهما موافقة لى ، فبدأ بذكر سهيل بن عمر ، فقال :

أما أحدهما – ففى ثروة واسعة من العيش ، إن تابَعْتِه تبعك ،وإن ملت عنه حط إليك ، تحكمن عليه فى أهله وماله .

وأما الآخر – فموسع عليه ، منظور إليه ، فى الحسب الحسيب والرأى الأريب ، مِدْرَهُ أُرمته (٢) ، وعِزُّ عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الظهرة ، لاينام على ضعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأول سيد مضياع للحرة ، فما عست أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ؛ فاطو ذكر هذا عنى ، ولا تسمِّه علىَّ بعد .

وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة (٣) ، الحرة العفيفة ، وإنى للتى لا أريب

---

(١) السميدع : السيد الكريم السخى .
(٢) المِدْرَهُ كمِنْبر : السيد الشريف ، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة ، والأُرمة : الأصل .
(٣) الخريدة : البكر لم تمسس ، والحيِّة المتسترة ، طويلة السكوت ، خافضة الصوت .

له عشيرة فتعيره ، ولا تصيره بذعر فتضيره ، وإنى لأخلاق مثل هذا لموافقة فزوجنيه .

فزوجها من أبى سفيان ، فولدت له معاوية ، وقبله يزيد ، فقال فى ذلك سهيل بن عمرو :

نُبئت هندا تَبَّر الله سعيها ... تأبَّت وقالت : وصفُ أهوج مائق[1]
وما هَوَجى يا هندُ إلا سجية ... أُجُر لها ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قَلُوصه ... ولاطَمْتُ بالبطحاء فى كل شارق[2]
ولكننى أكرمت نفسى تكرما ... ودافعت عنها الذم عند الخلائق
وإنى إذا ماحرة ساء خُلْقُها ... صبرتُ عليها صبرَ آخر عاشق
فإن هى قالت : خل عنى تركتها ... وأَقْلِلْ بتركٍ من حبيب مفارق
فإن سامحونى قلت أمرى إليكم ... وإن أبعدونى كنت فى رأس حالق[3]
فلم تنكحى يا هند مثلى وإننى ... لمن لم يمقنى فاعلمى غير وامق[4]

فبلغ أبا سفيان ، فقال :

والله لو أعلم شيئا يرضى أبا زيد سوى طلاق هند لفعلته ! .

وألح سهيل فى تنقيص أبى سفيان ، فقال أبو سفيان :

رأيت سُهَيْلاً قد تفاوت شأوُه ... وفرَّط فى العلياء كلَّ عِنان
وأصبح يسمو للمعالى وإنه ... لذو جفنةٍ مغشيةٍ وقيان[5]
وشرب كرامٍ من لؤى بن غالب ... عراض المساعى عرضة الحدثان
ولكنه يوما إذا الحرب شمرت ... وأبرز فيها وجه كل حصان
فأكفيه مالا يستطاع دفاعه ... وألقيت فيها كلكلى وجرانى[6]

---

(١) المائق : الذى كاد يبكى من شدة الغيظ .

(٢) القَلُوص من النوق : الشابة ، وهى بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قُلُص وقلائص ؛ ولذا نراهم يكنون عن الفتيات بالقلص ، والشارق : الشمس حين تشرق .

(٣) الحالق : الجبل المرتفع . (٤) الوامق : المحب ، وفعله : ومقه ، يمقه . أى أحبه .

(٥) جفنة مغشية أى : يغشاها الضيوف . دليل الكرم . والقيان جمع قينة وهى الأمة مغنية كانت أو غير مغنية ، وهى دليل السعة والثراء ، ولكنه مع هذا محتاج إلى من يكفيه مخاطر الحرب

(٦) الكلكل : الصدر ، والجران : باطن العنق من البعير وغيره ، ويقال : ألقى عليه جرانه : أى ثقله .

وصية أبى سفيان وزوجه

لابنهما معاوية حين عمل لعمر

● .. ولما قدم معاويةُ من الشام وكان عمر قد استعمله عليها [١] ، دخل على أمه هند ، فقالت له :

يابنى ، إنه قلما ولدت حُرَّةٌ مثلك ! ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهته .

● ثم دخل على أبى سفيان ؛ فقال له :

يا بنى إن هؤلاء الرهط من المهاجرين [٢] سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقُهم ، وقصَّر بنا تأخُّرنا ، فصيرنا أتباعاً وصاروا قادة ؛ وقد قلدوك جسيما من أمرهم [٣] ؛ فلا تخالفنَّ أمرهم ؛ فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته ، لتنفست فيه [٤] .

سهيل وابن له :

يرحم الله هذا !

● قال : وتزوج سهيل بن عمرو امرأة ، فولدت له ولداً ؛ فبينا هو سائر معه إذ نظر إلى رجل يركبُ ناقة ، ويقود شاةً ، فقال لأبيه : يا أبت ، هذه ابنة هذه ؟!! يريد الشاة ابنة الناقة ! فقال أبوه : يرحم الله هذا ! يعنى ما كان من فِراستها فيه .

---

(١) جعله عاملا له ووالیا علیها .
(٢) الرهط : الجماعة من الناس .
(٣) حملوك مسئولية الولاية والحكم وهى مسئولية جسيمة .
(٤) يتوقع له مستقبلا أعظم ، لم يبلغه بعد ، وعندما يتحقق تستريح نفسه .

الرسول ﷺ وأم هانىء :

خير نساء ركبن الإبل !

● وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله لو تزوجت أم هانىء بنت أبى طالب ، فقد جعل الله لها قرابة ، فتكون صهرا أيضا ! فخطبها رسول الله ﷺ فقالت : والله إنه لأحب إلى من سمعى وبصرى ، ولكن حقه عظيم ، وأنا مومّة (١) ؛ فإن قمت بحقه خفت أن أضيع أيتامى ! وإن قمت بأمرهم قصرت عن حقه ! فقال النبى ﷺ : خير نساء ركبن الإبل نساءُ قريش ، أحناها على ولد فى صغره ، وأرعاها على بعل (٢) فى ذات يده ، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت جملا لاستثنيتها .

زواج الرسول ﷺ من حفصة :

شكوى عمر .. !!

● ولما توفيت رُقيةُ بنت رسول الله ﷺ عن عثمان بن عفان ، عرض عليه عمر ابنته حفصة ؛ فسكت عنه عثمان - وقد كان بلغه أن رسول الله ﷺ يريد أن يزوجه ابنته الأخرى - فشكا عمر إلى رسول الله ﷺ سكوت عثمان عنه ؛ فقال له : سيزوِّجُ الله ابنتك خيرا من عثمان ، ويزوج عثمان خيراً من ابنتك ! فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ، وتزوج عثمان ابنته .

---

(١) مُومّة : صاحبة يتامى مات عنى زوجى وتركهم لى أرعاهم .
(٢) بعل : زوج .

خِطبته ﷺ لخديجة :

الزوج المثالى

● ولما خطب رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ، ذكرت ذلك لورقة بن نوفل – وهو ابن عمها – فقال : هو الفحل ، لايُقدع أنفه [1] ، تزوجيه .

خِطبة عمر بن الخطاب لأم كلثوم بنت أبى بكر :

لاحاجة لى فيه ! إنه خشن العيش شديد على النساء !

● .. وخطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبى بكر ، وهى صغيرة ، فأرسل عمر إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك . فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم قالت : لا حاجة لى فيه ! فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين [2] ؟ قالت : نعم ، إنه خَشِنُ العيش ، شديد على النساء ! فأرسلت عائشة إلى المغيرة بن شُعبةَ فأخبرته فقال لها : أنا أكفيك [3] ! فأتى عُمرَ فقال : ياأمير المؤمنين ، بلغنى عنك أمر أعيذك بالله منه ! قال : ماهو ؟ قال : بلغنى أنك خطبت أُمَّ كلثوم بنت أبى بكر ؟ قال: نعم ، أفرغبت بها عنى ، أم رغبت بى عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثة [4] نشأت تحت كنف خليفة رسول الله فى لين ورفق ، وفيك غِلظة ، ونحن نهابُك وما نقدر أن نردَّك عن خلق من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك فى شىء فسطوت [5] بها ؟! كنت

---

(١) قَدَعْته عنى : كففته بيدى أو بلسانى . وذاك فحلٌ لا يقدع أى كريم لا يُرَدّ .

(٢) رغب عنه انصرف ولم يلتفت إليه ، وهى عكس رغب فيه فمعناها أقبل عليه .

(٣) أى أعفى عنك إخباره بما لا يسبب الحرج لكليكما .

(٤) صغيرة السن شابة .

(٥) سطوت بها : السطو القهر بالبطش .

قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق لك ! فقال : كيف لى بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلك على خير لك منها ، أم كلثوم بنت على من فاطمة بنت رسول الله ، تتعلق منها بسبب (١) من رسول الله ﷺ .

علىّ وعمر فى أم كلثوم

ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك

● وكان على (٢) قد عزل بناته (٣) لولد جعفر بن أبى طالب ، فلقيه عمر فقال : ياأبا الحسن ، أَنْكِحْنى ابنتك أمَّ كُلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قال : قد حبستها لابن جعفر ! قال إنه والله ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك به ، فأَنْكِحْنى يا أبا الحسن . قال : قد أنكحتكها يا أميرَ المؤمنين ! .

فأقبل عمر فجلس فى الروضة بين القبر والمنبر ، واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ، فقال : زفّونى ! قالوا بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بأمِّ كُلثوم . فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب يتقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى » ! وقد تقدمت لى صُحبةٌ ، فأحببت أن يكون لى معها سبب (٤) . فولدت له أم كلثوم زيد بن عمر ، ورقية بنت عمر ؛ وزيد بن عمر هو الذى لطم سَمُرَة بن جندب عند معاوية إذ تنقص (٥) عليا فيما يقال .

---

(١) السبب : الحبل وكل شىء يتوصل به إلى غيره .

(٢) ولد فى مكة سنة ٦٠٠ م ابن عم النبى ﷺ وصهره وبطل الإسلام ، وهو من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ .

(٣) أعدهن وخصصهن يقال : عزلهن ، وحبسهن كل ذلك بمعنى واحد .

(٤) نسب يوصلنى برسول الله ﷺ .

(٥) نال من قدره وعابه .

سلمان وعمر فى ابنته :

أمير المؤمنين يتواضع !!

● وخطب سلمان الفارسى إلى عمر ابنته ، فوعده بها ، فشق ذلك على عبد الله بن عمر ، فلقى عَمْرَو بنَ العاص فشكا ذلك إليه ، فقال له : فأكفيكه (١) فلقى سلمان ، فقال له : هنيئا لك يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل فى تزويجك ابنته ! فغضب سلمان وقال : والله لا تزوجت إليه أبداً ! .

زواج بلال وأخيه :

أنا بلال وهذا أخى قد مَنَّ الله علينا !

● وخرج بلال بن رَبَاح مؤذن رسول الله ﷺ مع أخيه إلى قوم من بنى ليث ، يخطب إليهم لنفسه ولأخيه ، فقال : أنا بلال ، وهذا أخى .. كنا ضالَّيْن ؛ فهدانا الله ، وكنا عبدين فأعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تُزَوِّجُونا ؛ فالحمد لله ؛ وإن تَردُّونا فالمُستَعانُ الله ! .

قالوا : نعم وكرامة (٢) ! فزوجوهما .

★ ★ ★

---

(١) أكفيكه : أتولى بدلا منك صرفه بطريقتى الخاصة .

(٢) نعم وكرامة :الكرامة العَزازة .

زواج عثمان من نائلة :

مؤهلات ... ومواصفات !

● قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعُثمان بن عفان (١) : هل لك فى ابنة عم لى بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد (٢) ، أصيلة الرأى تتزوجها ؟ قال : نعم ، فذكرت له « نائلة بنت الفرافصة الكلبية » فتزوجها وهى نصرانية ، فتحنفت (٣) ، وحملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه ، قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبى ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين ، إنى من نسوة أَحَبُّ أزواجِهنَّ إليهن الكهل ! قال : إنى قد جُزْت (٤) الكهول ، وأنا شيخ ! . قالت : أذهبت شبابك مع رسول الله ﷺ فى خير ما ذهبت فيه الأعمار ! قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك من أرض السماوة وأريد أن أنثنى إلى عرض البيت ! وقامت إليه . فقال لها : آنزعى ثيابك . فنزعتها ؛ فقال : حلى مِرطك (٥). قالت : أنت وذاك .

● قال الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل ؛ فلما دُخِل إليه ، وقعد بينها ، فجذمت أناملها (٦) ، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه ما ترجو من امرأة جذماء ! .

● وقيل : إنها قالت لما قتل عثمان : إنى رأيت الحزن يَبْلى كما يبلى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حزن عثمان من قلبى ! فدعت بفهر (٧) فهتمت فاها ! وقالت : والله لاقعد أحد منى مقعد عثمان أبدا !! .

---

(١) ثالث الخلفاء الراشدين ، سمى ذا النورين لزواجه بابنتى النبى ﷺ .
(٢) أسيلة الخد : أى لينة الخد مع طوله ، وكل مسترسل فهو أسيل .
(٣) تحنف اعتزل عبادته ومال عنها ، والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .
(٤) أى تعديت سن الكهولة ، وسن الكهولة بين الثلاثين والخمسين تقريبا .
(٥) المرط : كل ثوب غير مخيط ، كساء من صوف ونحوه يؤتزر به .
(٦) جذمت : قطعت ، وامرأة جذماء مقطوعة اليد أو الأنامل .
(٧) الفِهر بكسر الفاء : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ويؤنث وجمعه أفهار .

فاطمة بنت الحسين بن على وابن عمرو

كفِّى عن وجهك ؛ فإن لنا به حاجةً !!

● وكانت فاطمة بنت الحسين بن على عند حسن بن حسن بن على ، فلما احتُضِر (١) قال لبعض أهله : كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إذا سمع بموتى قد جاء يتهادى فى إزار له موردٍ قد أسبله ، فيقول : جئت أشهد ابن عمى ، وليس يريد إلا النظر إلى فاطمة ، فإذا جاء فلا يدخلن ! .

قال : فو الله ما هو إلا أن أغمضوه ، فجاء عبد الله بن عمرو فى تلك الصفة التى وصفها ، فمنع ساعة ، فقال بعض القوم : لا يدخل وقال بعضهم : افتحوا له ؛ فإن مثله لا يُرَدُّ . ففتحوا له ، ودخل ؛ فلما صرنا إلى القبر قامت عليه تبكى ، ثم اطلعت إلى القبر فجعلت تصك وجهها بيديها حاسرة (٢) ؛ قال : فدعا عبد الله بن عمرو وصيفا له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يقرئك ابن عمك السلام ويقول لك : كفى عن وجهك ، فإن لنا به حاجة ! فلما بلغها الرسالة أرسلت يديها فأدخلتهما فى كميها حتى انصرف الناس .

فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمد بن عبد الله ؛ وكان يسمى المُذَهَّب ، لجماله ؛ وكانت ولدت من حسن بن حسن ، عبد الله بن حسن الذى حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمداً ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى قتلهما .

---

(١) احتضر : حضرته الوفاة .

(٢) تصك وجهها : تضربه ، وفى القرآن : ﴿ فصكت وجهها ﴾ وحاسرة : مكشوفة الوجه والانحسار : الانكشاف .

محمد بن عبد الله بن عمرو :

كرم الأصل وشرف النسب

● وعن سلمة بن محارب قال : ما رأيت قرشيا قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذى ولدته فاطمة بنت الحسين .

وكانت له ابنة ولدها رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير [1] : كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وأم محمد فاطمة بنت رسول ﷺ ، وأم فاطمة بنت الحسين أمُّ إسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودة بنت عمر بن الخطاب .

شريح والشعبى فى نساء تميم [2] :

خير زوجة !

● وعن الهيثم بن عدى الطائى قال : حدثنا مجالد عن الشعبى قال : قال لى شريح : يا شعبى ، عليك بنساء بنى تميم ؛ فإنى رأيت لهن عقولاً ، قال : وما رأيت من عقولهن ؟ قال : أقْبَلْتُ من جنازة ظهراً فمررت بدُورِهم ؛ فإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى ، فعدلت ، فاستسقيت وما بى عطش ، فقالت : أى الشراب أحبُّ

---

(١) أى كانت من نسلهم ، وسلالتهم ، واجتمع لها هذا الحسب والنسب ؛ فهى تنتمى إليهم وتنتسب ، كما هو مبين بعد .

(٢) تميم : قبيلة عربية أنجبت فحول شعراء الجاهلية ولغتها حجة بين لغات القبائل . والشعبى أبو عامر بن شراحيل تابعى محدث . كان مستشار الخلفاء ، وهو عَلَّامة الكوفة . روى عن على وأبى هريرة وعائشة . ومن تلاميذه أبو حنيفة .

إليك ؟ فقلت : ما تيسر . قالت : ويحك ياجارية ! ائتيه بلبن ؛ فإنى أظن الرجل غريباً ! قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب ابنة جرير ، إحدى نساء حنظلة .

قلت : فارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : زَوِّجينيها .

قالت : إن كنت لها كفئا ، ولم تقل كفوا ، وهى لغة تميم – فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقيل ، فامتنعت منى القائلة ، فلما صليت الظهر أخذت بأيدى إخوانى من القراء الأشراف : علقمة ، والأسود ، والمسيب ، وموسى ابن عرفطة ، ومضيت أريد عمها ، فاستقبل فقال : يا أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : زينب بنت أخيك . قال : ما بها رغبة عنك (١) ! فأنكَحَنيها ، فلما صارت فى حبالى ندمتُ ، وقلت : أى شيءٍ صنعتُ بنساء بنى تميم ؟ وذكرت غلظ قلوبهن ، فقلت أطلقها ! ثم قلت : لا ، ولكن أضمها إلى ، فإن رأيت ما أحب وإلا كان كذلك . فلو رأيتنى يا شعبى وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت على ، فقلت : إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله من خيرها ، ويعوذ من شرها ، فصليت وسلمت ، فإذا هى من خلفى تصلى بصلاتى ، فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها ، فأخذن ثيابى ، وألبسننى ملحفة قد صبغت فى عكر العصفر .

فلما خلا البيت دنوت منها ، فمددت يدى إلى ناحيتها ، فقالت : على رِسْلِك (٢) أبا أمية ! كما أنت ! ثم قالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه ، وما تكره فأزْدَجِرَ عنه .. وقالت : إنه قد كان لك فى قومك مَنْكَحٌ (٣) ، وفى قومى مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمرا كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ﴿ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ (٤) . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك .

---

(١) أى لا ترغب فى غيرك ، وهى راغبة فيك .
(٢) على رِسْلِك : أى اتئد وتأنَّ .
(٣) أى تزوجتَ من قومك قبلى .
(٤) البقرة : ٢٢٩ .

... قال : فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى على النبى وآله وأُسَلِّم ، وبعد ، فإنك قد قلتِ كلاما إن تثبتى عليه يكن ذلك حَظَّكِ ، وإن تدعيه يكن حجةً عليك ؛ أحب كذا ، وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرق ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

وقالت شيئا لم أذكره : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أُحِبُّ أن يَمَلَّنى أصهارى . قالت فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذنُ لهم ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبت يا شعبى بأنعم ليلة ، ومكثت معى حولا لا أرى إلا ماأحب ، فلما كان رأسُ الحول (١) جئت من مجلس القضاء ؛ فإذا بعجوز تأمر وتنهى فى الدار ! فقلت : مَن هذه ؟ قالوا : فلانة ختنك (٢) ، فسرى عنى ما كنت أجد ، فلما جلست ، أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعَلَيْكِ السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة ختنك . قلت : قربك الله . قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . فقالت لى : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ منها فى حالتين : إذا ولدت غلاما ، أو حظيت عند زوجها ؛ فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فو الله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرا من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدبَ ، ورُضْت فأحسنت الرياضة . قالت : تحب أن يزورك ختانُك ؟ قلت : متى شاءوا . قال : فكانت تأتينى فى رأس كل حول توصينى تلك الوصية .

فمكثت معى عشرين سنة لم أعتب عليها فى شىء إلا مرَّة واحدة ، وكنت لها ظالما : أخذ المؤذن فى الإقامة بعد ما صليت ركعتى الفجر ، وكنت

---

(١) آخر العام : وسمى العام حولا ؛ لأنه يضم فصولا أربعة ، يتحول فيها الجو من حال إلى حال .

(٢) ختن الإنسان : أصهاره وكل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت ، وزوج الأخت وأم الزوجة كما هنا .

إمام الحىّ ، فإذا بعقرب تدب ، فأخذت الإناء فأكفأته عليها .

ثم قلت : يازينب ، لا تتحركى حتى آتى ! فلو شهدتنى يا شعبى وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها ، فدعوت بالسكت والملح ، فجعلت أمغث (١) أصبعها ، وأقرأ عليها بالحمد والمُعوذَتين .

● وكان لى جار منَ كندة يُفَزِّع امرأته ويضربها :

فقلت فى ذلك :

كُنتم زعمتم أنها ظَلمتكم ... كذَبتُم وبيت الله بَلْ تَظِلمونَها
فإن لاتعدُّوا أُمَّها من نسائِكم ... فإن أباها والدٌ لن يَشِينَها
وإنَّ لها أعمامَ صدقٍ وإخوةً ... وشيخاً إذا شِئتُم تأَيَّم دونها (٢)

قالت النوار : فإذاً لانشاء ! .

لمعاذ بن جبل :

فتنة الضراء وفتنة السراء !

● وعن رجاء بن حَيْوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإنى أخاف عليكم من فتنة السراء : وهى النساء ، إذا تحلين بالذهب ، ولَبسنَ رَيْطَ الشام (٣) ، وعصب اليمن ، فأتعبن الغنى ، وكلَّفن الفقير ما لا يطاق .

● وقال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة ليتخذها بربرية ، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية ، ومن أراد للخدمة ليتخذها رومية .

---

(١) أمغث إصبَعَها : المغْثُ المرت ، والضرب الخفيف و الدلك .
(٢) تأيم : مَكث زمانا لا يتزوج .
(٣) ريْط : جمع ريطة ، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجا واحداً .

لابن هبـيرة :

مواصفات !

● عن أبى الحسن المدائنى قال : قال يزيد بن عمر بن هبيرة : اشتروا لى جارية شَقَّاء ، مقَّاء ، رَسْحَاء ، بعيدة ما بين المنكبين ، ممسوحة الفخذين (١) .

● وقال الأصمعى – وذكر النساء – بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رءوس الأبطال كابن الأعجمية .

★ ★ ★

يونس ومستشير له فى الزواج:

إياك أن تقع فى قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم !!

● أبو حاتم الأصمعى عن يونس بن مصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال : أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت : يا بن أخى ، إنى أعرف فى العين إذا عَرِفَتْ ، وأنكر فيها إذا أنكرَتْ ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر : أما إذا عرفت فتتحاوص (٢) ، وأما إذا أنكرت فتجحظ (٣) ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو (٤) ؛ وقد رأيت عينك ساجية ؛ فالقصيرة النسب التى إذا ذكرت أباها اكتفت به ، والطويلة النسب التى تُعرف حين تطيل فى نسبتها ، فإياك أن تقع فى قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم ؛ فتضيع نفسك فيهم ! .

---

(١) شَقَّاء : يريد كأنها شقة جبل ، مقاء : طويلة ، رسحاء : صغيرة العجيزة أرادها للولد ؛ لأن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة ؛ فقد قال عمر بن هبيرة لرجل : مأأنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا .

(٢) تتحاوص : الحوصُ ضيق فى مُؤْخرة العينين أو فى إحداهما ، والالتفاف حول الشيء .

(٣) تجحظ : يقال : جحظت عينه إذا خرجت مقلتها أو عظمت .

(٤) تسجو : تسكن . ومنه البحر والطرف الساجى ؛ وامرأة سجواء الطرف .

الوليد وعقائله [1] :

نطق من احتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره !

● وعن العتبى قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل : لُبابَة بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث .

فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن ، فاجتمعن يوما .

● فقالت لبابة : أما والله إنك لتسوينى بهن ، وأنت تعرف فضلى عليهن ! .

● وقالت بنت سعيد بن العاص [2] ، أما كنت أرى أن للفخر على مجازا ، وأنا ابنة ذى العمامة ؛ إذ لاعمامة غيرها ! .

● وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أُحِبُّ بأبى بدلاً ، ولو شئت لقلت فصدَقْتُ وَصُدِّقْتُ ! .

● وكانت بنت يزيد بن معاوية [3] جاريةً حديثة السن ، فلم تتكلم ، فتكلم عنها الوليد فقال :

● نطق من احتاج إلى نفسه ، وسكت من اكتفى بغيره ؛ أما والله لو شاءت لقالت :

● أنا ابنة قادتكم فى الجاهلية ، وخلفائكم فى الإسلام ! فظهر الحديث حتى تُحدِّث به فى مجلس ابن عباس ، فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

---

(١) عقائله: زوجاته . جمع عقيلة .

(٢) حاكم الكوفة والمدينة أيام معاوية ، قاد الجيوش فى طبرستان وجرجان ، وتوفى فى العقيق ٦٨٨ م

(٣) الخليفة الثانى الأموى اشتهر بتهتكه ومجونه .

للحجاج فى نسوته :

هـذه ليلتى !

● الشيبانى عن عوانة : قال : ذكر النساء عند الحجاج ، فقال : عندى أربع نسوة : هند بنت المهلَّب ، وهند بنت أسماء بن خارجة ، وأم الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله البجلى ، فأما ليلتى عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتيان ، يلعب ويلعبون ، وأما ليلتى عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك ، وأما ليلتى عند أم الجلاس فليلة أعرابى مع أعراب فى حديثهم وأشعارهم . وأما ليلتى عند أمة الرحمن بنت جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء .

أبو الحر المخنث :

وفر الله لحيتك .. أبا الحر !

● وعن العتبى قال : حدثنى رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة مخنث يدل على النساء (١) ، يقال له : أبو الحر ، وكان منقطعا إلى ، فدلنى على غيرما امرأة أتزوجها ، فلم أرض عن واحدة منهن ، فاستقصرته يوماً (٢) ، فقال : والله يامولاى لأدلنك على امرأة لم تر مثلها قط ، فإن لم تر كما وصفت فاحلق لحيتى ! فدلنى على امرأة فتزوجتها ، فلما زفت إلى وجدتها أكثر مما وصف ، فلما كان فى السحر إذا إنسان يدق الباب ، فقلت من هذا ؟ قال : أبو الحر ، وهذا هو الحجام (٣) معه ، فقلت : قد وفر الله لحيتك أبا الحر ، الأمر كما قلت ! .

★ ★ ★

---

(١) يقوم بترشيح النساء لمريدى الزواج (أشبه بالخاطبة فى مجتمعنا) .

(٢) استقصرته : نسبت إليه التقصير .

(٣) الحجَّام : من سيقوم بحلق ذقنه إذا لم تحظ المرأة بالقبول . والحجامة : امتصاص الدماء بالمحجم . وقد كان الحجام يقوم بما يشبه عمل حلاق الصحة فى القرى يحجم ، ويفصد ، ويختن ، ويحلق ! .

• للرسول ﷺ فى مخنث :

تقبل بأربع وتدبر بثمان !

● ابن بكير عن مالك بن هشام بن عروة عن أبيه : أن مخنثا كان عند أم سلمة زوج النبى ﷺ ، فقال لعبد الله بن أبى أمية ورسول الله ﷺ يسمع : أبا عبد الله ، إن فتح الله لكم الطائف غدا فأنا أدلك على بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع ، وتدبر بثمان ! (١) .

فقال رسول الله ﷺ : « لايدخل عليكن هؤلاء » .

رجل من أهل الكوفة وابنة عمه :

الله أجل فى قلبى وأعظم !!

● وضرب البعث (٢) على رجل من أهل الكوفة ، فخرج إلى أذربيجان ، فاقتاد جارية وفرسا ، وكان مملكا بابنة عمه ، فكتب إليها ليغيرها :

ألا أبلغوا أم البنين بأننا غنينا وأغنتنا الغطارفة المرد (٣)
بعيدُ مَنـاطِ المنكبين إذا جرى وبيضاء كالتمثال زينها العِقْدُ
فهذا لأيـام العـدو وهـذه لحاجة نفسى حين ينصرف الجندُ

---

(١) تقبل بأربع وتدبر بثمان ، يريد عكن البطن ، أنّها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان . والعكن ما انطوى وتثنى من لحم البطن . يقصد : أنها سمينة ممتلئة .

(٢) بعثه : أرسله ، والبعث : الجيش .

(٣) الغطارفة : جمع غطريف وهو السيد الشريف ، والمرد : جمع أمرد .. وهو من لا شعر فى ذقنه .

فلما ورد كتابه قرأته وقالت: ياغلام ، هات الدواة ، فكتبت إليه تجيبه :

ألا أقرِهِ السلامَ وقل له ... غنينا – ففيقوا – بالغطارفة المرد
بحمد أمير المؤمنين أقَرَّهُم ... شباباً – وأغزاكم – خوالف فى الجند
إذا شئت غنانى غلام مُرَجَّلٌ ... ونازعته من ماء مُعتَصَر الورد
وإن شاء منهم ناشىء مَدَّكفَّه ... إلى كبدٍ ملساءَ أو كفل نَهْدِ
فما كنتم تقضون من حاج أهلكم ... شهوراً قضيناها على النأى والبُعْدِ (١)

فلما ورد كتابها ، لم يزد على أن ركب فرسه ، وأردف الجارية ، وألحق بها ، فكان أول شيء بدأ لها به السلام أن قال :

بالله هل كنت فاعلة ؟ .

قالت : الله أجَلُّ فى قلبى وأعظم ، وأنت فى عينى أذلُّ وأحقر من أن أعصى الله فيك (٢) ! فكيف ذقت طعم الغَيْرَةِ ؟! .

فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعثه .

★ ★ ★

---

(١) لقد أثار غيرتها بجاريته ، فأثارته هى الأخرى – كلاما – بغلام مُرجل الشعر إذا شاءت مكنته مما أحله الله للزوج ! .

(٢) لقد بلغت قمة مراقبة الله عندما قالت : الله أجل فى قلبى وأعظم ! وأعطت للأزواج الذين لا يصونون حق الزوجية درسا يلفتهم إلى ما ينبغى اتباعه مع أم الأولاد ، وما أجمل قولها : وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك ، فكيف ذقت طعم الغيرة ؟! .. وهكذا يعود الزوج إلى نفسه بعد هذا الدرس ويهب الجارية لزوجته .

• معاوية وابن صوحان :

(أ) أيُّ النساء أشهى إليك ؟!

... وقال معاوية [1] لصعصعةَ [2] بن صوحان : أيُّ النساء أشهى إليك ؟ .

قال : المواتية لك فيما تهوى [3] .

قال : فأيهن أبغض إليك ؟ .

قال : أبعدهن مما ترضى .

قال : هذا النقد العاجل ! .

فقال صعصعة : بالميزان العادل ! .

(ب) إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام !!

وقال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف ننسبك إلى العقل ، وقد غلب عليك نصف إنسان ؟! . يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه ، فقال معاوية :

إنَّهُن يَغلِبْنَ الكرام ، ويغلبهن اللئام .

---

(١) هو ابن أبى سفيان ، كان واليا على دمشق زمن الخليفتين : عمر وعثمان . وهو مؤسس الدولة الأموية سنة ٦٨٣ هـ .

(٢) من المشاهير فى معرفة أنساب العرب .

(٣) التى تكون كما يهوى الإنسان ، وتحقق له ما يأمله فى المرأة .

• جرير البجلى وابن الخطاب :

إن بين جوانحك لَعلماً

وعن سفيان بن عُيَينة قال :

● شكا جرير بن عبد الله البجلى إلى عمر بن الخطاب ما يلقى من النساء ، فقال : لا عليك [١] ؛ فإن التى عِندى ربما خرجت من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لقيان [٢] بنى عدى .

فسمع كلامَهما ابن مسعود فقال :

لا عليكما ؛ فإن إبراهيم الخليل شكا إلى ربه رداءة فى خلق سارة ، فأوحى الله إليه : أن البسها على لباسها ما لم تر فى دينها وصمة [٣] .

فقال عمر : إن بين جوانحك لَعِلْماً ! .

الحجاج [٤] وابن القُرَيَّة :

بم يكمل جمال المرأة ؟!

● .. وكتب الحجاج إلى ابن القرية : أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة فى قومها ، ذليلة فى نفسها ، مواتية لبعلها .

---

(١) لا حرج عليك ولا بأس .

(٢) القيان جمع قينة ، وهى الجارية ، مغَنِّية أو غير مغنية .

(٣) وصمة : عيب ونقص ، وانحراف ، وعلى الإنسان أن يتقبل من زوجته ما لا يرضيه منها ، فإن كره منها شيئا أحب آخر ، إلا إذا كان ما يعيبه منها متعلقا بالدين .

(٤) الحجاج بن يوسف أحد ولاة الأمويين على الحجاز ، وعند ثورة مصعب بن الزبير رمى الكعبة بالمنجنيق . ثم تولى على العراق فأخمد الفتن بقوة . ويعد من أكبر طغاة الولاة .

فكتب إليه : قد أصبتُها لولا عظم ثدييها ! .

فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها ؛ فتدفىء الضجيع ، وتروى الرضيع ! .

أبو العباس وابن صفوان :

أعجب النساء

● وقال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : ياخالد ، إن الناس قد أكثروا فى النساء[1] ، فأيهن أعجب إليك ؟ .

قال : أعجبهن يا أمير المؤمنين التى ليست بالضرع الصغير ولا الفانية الكبير ، وحسبك من جمالها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، كانت فى نعمة ، ثم أصابتها فاقة ، فأترفها الغنى ، وأدبها الفقر .

ابن صفوان وامرأة :

أريدها بكراً كثيب ، أو ثيبا كبكر !

● .. ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى المسجد بالبصرة ، فقال : ما هذه الجماعة ؟ .

قالوا : على امرأة تَدُلُّ على النساء فأتاها ؛ فقال لها : ابغنى امرأة .

---

(١) قالوا الكثير فيهن .

قالت : صفها لى .

قال : أريدها بكرا كثيب ، أو ثيبا كبكر ، حلوة من قريب ، فخمة من بعيد ، كانت فى نعمة ، فأصابتها فاقة ، فمعها أدب النعمة ، وذل الحاجة ، فإذ اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة .

قالت : لقد أصبتها لك .

قال : وأين هى ؟ .

فى الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها [1] .

لأعرابى فى النساء :

أفضل النساء ..

● وسئل أعرابى فى النساء ، وكان ذا تجربة وعِلْم بهنَّ ؛ فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ؛ التى إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئا جودت ؛ التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

غطفانى وعبد الملك :

أحسن النساء

● وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صف لى أحسن

---

(١) هذه المثالية لا وجود لها إلا فى الجنة من بين الحور العين ، فعليه أن يستعد بالعمل الصالح حتى تكون من نصيبه .

النساء . قال : خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ، رَدْمَاءُ الكعبين (١) ، مملوءة الساقين ، جَمَّاء الركبتين (٢) ، لفَّاء الفخذين ، مقرمدة الرُّفغين (٣) ، ناعمة الأَلْيَتين (٤) ، منيفة المأكمتين (٥) ، فعمة (٦) العضدين ، فخمة الذراعين ، رَخْصَة (٧) الكفين ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدين ، كحلاء العينين ، زَجَّاء (٨) الحاجبين ، لمياء الشفتين (٩) ، بلجاء الجبين (١٠) ، شماء العرنين (١١) ، شنباء (١٢) الثغر ، حالكة الشَّعْر ، غيداء العنق (١٣) ، عيناء العينين (١٤) مكسرة البطن ، ناتئة الركب .

فقال : ويحك ! وأنَّى توجد هذه ؟ .

قال : تجدها فى خالص العرب ، أو فى خالص الفُرس .

---

(١) أى ليس بهما شقوق .

(٢) الشاة الجمَّاء التى لا قرن لها ، ويقصد أن ركبتيها غير بارزتين وليس عظمهما ناتئا .

(٣) الرفغ كما قال ابن السكيت هو : أصل الفخذ وهو بضم الراء مثل قفل وأقفال لغة أهل الحجاز وبفتحها لغة تميم والجمع رفوغ وأرفغ مثل : فَلْس وفلوس وأفلس . وثوب مقرمد بالطيب والزعفران أى مطلى به .

(٤) الأَلية : ألية الشاة وهى مفتوحة الهمزة ، ولا يقال : لية والجمع أَليات وامرأة عجزاء قال ثعلب : والقياس أليانة .

(٥) المأكمُ والمأكمةُ وتكسر كافها : لحمة على راس الورك وهما اثنتان أو لحمتان وصلتا بين العجز والمتنين ويقصد أنها عظيمة المأكمتين .

(٦) فعم الساعد والإناء : امتلأ . وفعمت المرأة : استوى خلقها ، وغلظ ساقها فهى فعمة .

(٧) ناعمة الكفين لينتهما .

(٨) إذا رق حاجب المرأة فى طول فهى زَجَّاء والحاجب أزَجّ والتزجيج حف ما حول الحاجبين من الشعر وإطالتهما بالإثمد .

(٩) اللَّمَى : سواد بالشفة . والتلمية خضاب الشفاه بالإثمد حتى تحكى اللمى الطبيعى .

(١٠) تبلج الصبح أشرق وأنار . والبلج تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين ويقصد أن فى جبينها إشراقا ونورًا .

(١١) العرنين الأنف وشماء عالية ويقصد أن فيها عزة وامرأة شماء عالية الأنف .

(١٢) الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

(١٣) الغَيد : ميل العنق ولين الأعطاف والغادة المرأة اللينة البينة الغيد .

(١٤) عيناء العينين : حسنة العينين ، ومنه الحور العين .

أقوال فى هذا المجال :

١ – قال رجل لخاطب : ابغنى امرأة لا تؤنس جاراً ، ولا توهن دارا ، ولا تثقب نارا .

يريد : لا تدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تغرى بينهم بالشر .

٢ – وفى نحو هذا يقول الشاعر :

من الأوانس مثل الشمس لم يرها
فى ساحة الدار لا بعل ولا جارٌ .

٣ – وقال الأعشى :

لم تمش ميلا ولم تركب على جمِلٍ ولا ترى الشمس إلا دونها الكلل (١)

٤ – وقال آخر :

ابغنى امرأة بيضاء مديدة ، فرعاء (٢) جعدة ، تقوم فلا يصيب قميصها منها إلا مشاشة (٣) منكبيها ، وحلمتى ثدييها ، ورانفتى (٤) أليتيها .

٥ – وقال الشاعر :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجـن غيورا

٦ – ولآخر :

---

(١) الكِلَل : جمع كِلة . ما يشبه الستائر ونحوها مما يكون فوق الأسرة ونسميها نحن المصريين (الناموسية) .

(٢) فرعاء : تامة الشعر . وجعد الشعر بضم العين وكسرها إذا كان فيه التواء وتقبض خلاف المسترسل ، شعرها « مموَّج » .

(٣) المشاشة بالضم : رأس العظم الممكن المضغ .

(٤) الرانفة : أسفل الألية إذا كنت قائما .

إذا انبطحت فوق الأثافى[1] رفعنها
بثديين فى نحر عريض وكعثب

٧ – ونظر عمران بن حطان إلى امرأته وكانت من أجمل النساء وكان من أقبح الرجال فقال :
إنى وإياك فى الجنة إن شاء الله ! .

قالت له : كيف ذاك ؟ .

قال : إنى أعطيت مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلى فصبرت ! .

من أخبار عائشة بنت طلحة :

صان الله ذلك الوجه

١ – ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة فقال : سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك ، والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله ﷺ .

وكان معاوية من أحسن الناس وجها .

٢ – ونظر ابن أبى ذؤيب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنت ؟ .

فقالت :

من اللاءِ لم يَحجُجن يبغين حِسْبَةً[2] ولكن ليقتلن البرىءَ المغفلا

فقال لها : صان الله ذلك الوجه عن النار ! .

فقيل له : أفتنتك أبا عبد الله ؟ .

---

(١) الأثافى : جمع أُثْفِيّة بالضم ويكسر الحجر يوضع عليه القدر . والكعثب : الرَّكَبُ الضخم . زعم أنها إذا بطحت على وجهها لم تمسَّ الأرض بشىء من سائر جسدها إلا نهود ثدييها ، وعظم رَكَبها فصارت لبدنها كأثافى القِدر .

(٢) الحسبة بكسر الحاء : احتساب الأجر على الله وادخاره عنده لا يرجو ثواب الدنيا واللاء ، واللاتى بمعنى واحد .

قال : لا ؛ ولكن الحسن مرحوم .

٣ – وقال يونس : أخبرنى محمد بن إسحق قال : دخلتُ عَلَى عائشة بنت طلحة فوجدتها متكئة ، ولو أن بختية [١] نوخت خلفها ما ظهرت .

٤ – السرى بن إسماعيل عن الشعبى قال : إنى لفى المسجد نصف النهار إذ سمعت باب القصر يفتح ؛ فإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة فقال : يا شعبىُّ اتبعنى . فاتبعته ؛ فأتى دار موسى بن طلحة ، فدخل مقصورة ، ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبى اتبعنى ، فإذا امرأة جالسة عليها من الحلى والجواهر ، ما لم أر مثله ، ولَهِىَ أحسنُ من الحُلِىّ الذى عليها .

فقال : يا شعبّى ، هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر :

ومازلت من ليلى لدُن طرَّ [٢] شاربى
إلى اليوم أُخفى حُبَّها وأدَاجِنُ [٣]
وأحمل فى لَيلَى لقومٍ ضَغينة
وتُحمَلُ فى لَيلَى على الضغائنُ [٤]

هذه عائشة ابنةُ طلحة ، فقالت له : أما إذ جلوتنى عليه فأحسن إليه ! .

فقال : يا شعبى ، رُح العشية إلى المسجد ، فرحت ، فقال : يا شعبى ، ما ينبغى لمن جليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف فأمر لى بها ، وبكسوة ، وقارورة غالية ، فقيل للشعبى فى ذلك اليوم : كيف الحال ؟! .

قال : وكيف حال من صَدَر عن الأمير ببدرة [٥] ، وكسوة ، وقارورة غالية [٦] ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة ! .

---

(١) البُخْتُ : نوع من الأبل . والواحدة بختية ، ونوخت . أناخت : بركت يقصد ضخامتها .

(٢) لَدُن طرَّشاربى : لدن ظرف مكان بمعنى عند وقد يستعمل فى الزمان ، وطرشاربه نبت ، ويقصد منذ بلوغه .

(٣) داجنة مداجنة : داهنة ، وخاتله .

(٤) أعادى فى حبها وأعادَى من أجلها .

(٥) البَدْرة : عشرة آلاف درهم ، والكمية العظيمة من المال ، والكيس الموضوعة فيه .

(٦) الغالية : أخلاط من العطور والروائح ذات الشذى الفواح .

أحسن ما وصفه واصف بنظم أو شعر :

زواج عَمْرو بن حُجْر من بنت عوف

ما وراءك يا عصام ؟!

وكان عَمْرو بن حُجْر ملك كندة – وهو جد امرىء القيس – أراد أن يتزوج ابنة عوف بن مُحَلِّم الشيبانى الذى يقال فيه : « لا حُرَّ بوادى عوف » ؛ لإفراط عزه ، وهى أم إياس ، وكانت ذات جمال وكمال ؛ فوجه إليها امرأة يقال لها : « عصام » لتنظر إليها وتمتحن ما بلغهُ عنها .

فدخلت على أمها أُمامَةَ بنت الحرْث ، فأعلمتها ما قَدِمت له ؛ فأرسلت إلى ابنتها ... ؛ فقالت : أى بُنيَّةُ ، هذه خالتك أتَت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تسترى عنها شيئا أرادت النظر إليه : من وَجْه ، وخلق ، وناطقيها فيما استنطقتك فيه . فدخلت « عصامُ » عليها ، فنظرت إلى ما لم تر عينها مثله قَطُّ بهجة وحسنا وجمالا ، وإذا هى أكمل الناس عقلا ، وأفصحهم لسانا ، فخرجت من عندها وهى تقول :

« ترك الخِداعَ من كشف القِناع » . فذهبت مثلا .

ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها : « ما وراءَك ياعصامُ » ؟ . فأرسلها مثلا .

قالت : « صرح المِخَضُّ عن الزبد (١) » . فذهبت مثلا . قال : أخبرينى .

قالت : أخبرك حقا وصدقا :

---

(١) مثل يقال للأمر إذا انكشف وتبين . والمخَضُّ : الوعاء الذى يضرب ويحرك فيه اللبن حتى يخرج منه الزبد ، والمراد أنها نضجت ، واستوت .

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل لـه[1] المضفورة إن أرْسَلَتْه [2] خِلتَه السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيد كرم جلاها الوابل [3] ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خُطَّا بقلم ، أو سُوِّدَا بحمم [4] ، قد تقوسا على مثل عين العبهرة [5] ، التى لم يَرُعْها قانص ، ولم يُذْرها قسورة ، بينهما أنف كحد السيف المصقول ، لم يخنس به قصر ، ولم يُمعِن به طول ، حفت به وجنتان كالأرجُوان ، فى بياض محض كالجُمان ، شُقَّ فيه فم كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غُر ذوات أشر ، وأسنان كالدر ، وريق كالخمر ، له نشر الروض بالسحر ، ينقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ... يقلبه به عقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقى دونه شفتان حمراوان كالورد يجلبان ريقا كالشهد ، تحت ذاك عنق كإبريق الفضة ، رُكِّبَ فى صدر تمثال دُمية ، يتصل به عضدان ممتلئان لحما ، مكتنزان شحما ، وذراعان ليس فيهما عظم يحس ، ولا عرق يُجَس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما ، لين عصبهما ، تعقد إن شئت منهما الأنامل ، وتركَّب الفصوص فى حفر المفاصل ،وقد تربع فى صدرها حقان كأنهما رمانتان .. يخرقان عليها ثيابها ، من تحته بطن طوى كطى الطباطبى المدمجة ، كسى عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو ، خلف ذلك ظهر كالجدول ، ينتهى إلى خصر لولا رحمة الله لا نخذل ، تحته كفَل يُقعدها إذا نهضت ،

---

(١) الذنب : الذيل .

(٢) تركته مرسلا دون أن تضفره .

(٣) الوابل : المطر الشديد . وتقصد لمعان شعرها وصفاءه .

(٤) الحُمَمَة : بوزن رُطَبة : ما أحرق من خشب ونحوه . والجمع بحذف الهاء ويقصد كأنما سودا بفحم . (وتقوم أفلام الكحل فى عصرنا بهذه المهمة) .

(٥) العبهرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة الجسم والجامعة للحسن فى الجسم والخلق ، وقد كان العرب يشبهون عيون المرأة بعيون المها – بقر الوحش – ويرعها : يخفها ، والقسورة الأسد . ويخنس : يتأخر ، والخَنَسَ تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة . والجُمان : الفضة . وغُرّ : بيضاء . والأشر : تباعد ما بين الأسنان . والنشر : الرائحة العطرة .

ويُنهضها إذا قعدت [1] ، كأنه دِعصُ [2] رمل ، لبده سقوط الطل ، يحمله فخذان لفاوان ، كأنهما نضيد الجُمان [3] ، تحملان ساقان خدلَّجتان [4] ، وشيتا [5] بشعر أسود كأنه حلق الزرد [6] ، ويحمل ذلك قدمان كحذْو اللسان ، تبارك الله ، مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما ، فأما ما سوى ذلك ، فتركت أن أصفه غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو شعر .

قال : فأرسل إلى أبيها يخطبها ، فكان من أمرهما ما تقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب .

الفرزدق وأمة له :

وقال الفرزدق فى أمته الزنجية

يارُبَّ خَوْدٍ من بنات الزنج تنقل تَنُّوراً شديد الوهج [8]
أغيرَ مثل القدح الخلنج يزداد طيبا بعد طول الهرج [9]

يَعْلَى الهُذَلىّ وطلحة الطلحات :

أَقدم أُزَوِّجْك ابنتى وأصنعْ بك ماأنت أَهله !

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال : حدثنا يعلى الهذلى قال :

---

(١) العكن : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمَناً . والمُدْهن : آلة الدهن وقارورته والجدول : النهر الصغير ، والكفل : العَجُز ، ومؤخرة الظهر من المرأة وعجيزتها .
(٢) الدعص : الكثيب والمجتمع من الرمل المستدير .
(٣) نضيد الجُمان : اللؤلؤ المنظوم ، والفضة النضيدة التى يكون بعضها فوق بعض .
(٤) خَدَلَّجتان : مملوءتان . والخَدَلَّجةُ : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .
(٥) وُشِّيتا : حليتا وزينتا .
(٦) الزرد : الدرع المزرودة .
(٧) هو أبو فراس همام بن غالب التيمى ، أحد الشعراء البارزين فى العصر الأموى .
(٨) الخود : المرأة الشابة . والتنور : تجويفة اسطوانية من فخار تجعل فى الأرض ويخبز فيها .
(٩) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الآنية ، والهرج الاختلاط وهرج جاريته جامعها .

كنت بسجستان مع طلحة الطلحات ، فلم أر أحدا كان أسخى منه ولا أشرق نفسا ؛ فكتب إلىَّ عمى من البصرة : إنى قد كبرت ، ومالى كثير ، وأكره أن أوكله غيرك فأقدم أزوجك ابنتى وأصنع بك ما أنت أهله .

قال فخرجت على بغلة لى تركية فأتيت البصرة فى ثلاثين يوما ، ووافيته فى صلاة العصر ، فوجدته قاعدا على دكانه ، فسلمت عليه فقال لى : من أنت ؟ قلت ابن أخيك يَعلى ، قال : وأين ثقلك (١) ؟ .

قلت : تعجلت إليك حين أتانى كتابك ، وطربت نحوكم . قال : يابن أخى ، أتدرى ما قالت العرب ؟ قلت : لا . قال : قالت العرب : شر الفتيان المفلس الطروب ! قال فقمت إلى بغلتى ، فأعددت سرجى عليها ، فما قال لى شيئا ، ثم قال : إلى أين ؟ قلت : إلى « سجستان » . قال : فى كنف الله .

قال : فخرجت فبت فى الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفت أسأل عنها ، حتى أتيت منزلها – وكان طلحة أَبَرَّ الناس بها – فقلت : رسول طلحة ، فقالت : ائذنوا له . فدخلت ، فقالت : ويحك ! كيف آبنى ؟ قلت : على أحسن حال . قالت : فلله الحمد ! وإذا بعجوز قد تحدرت ، قالت : فما جاء بك ؟ قلت : كيت وكيت . قالت : يا جارية ائتنى بأربعة آلاف درهم ! ثم قالت : ائت عمك فابتن بابنته ، ولك عندنا ما تحب ! قلت : لا والله لا أعود إليه أبدا ، قالت : يا جارية ، ائتنى ببغلة رحالتى . ثم قالت : راوح (٣) بين هذه وبغلتك حتى تأتى سجستان . قلت : اكتبى بالوصاة بى ، والحالة التى استقبلتها . فكتبت بوجعها التى كانت فيه ، وبعافية الله إياها ، وبالوصاة بى ، فلم تدعْ شيئاً .

ثم دفعت حتى أتيت سجستان ، فأتيت باب طلحة ، وقلت للحاجب : رسول صفية بنت الحرث . وأنا عابس باسر (٤) ، فدخل ؛ فخرج

---

(١) الثقل : المتاع . وفى القرآن : ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ .

(٢) سجستان : إحدى الولايات الواسعة جنوبى هراة ، وبينها وهراة عشرة أيام .

(٣) راوِحْ بينهما : أى اركبهما على التبادل ، هذه مرة ، وتلك أخرى .

(٤) عابس باسر : عبس قطب وجهه ، وبسر الرجل وجهه كلح ؛ يقال : عبس وبسر .

متوشحاً (١) ، وخلفه وصيف يسعى بكرسى ، فقمت بين يديه ، فقال : ويلك ! كيف أمى ؟! .

قلت : بأحسن حالة . قال : انظر كيف تقول ؟ قلت : هذا كتابها .

قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : اقرأ كتاب وصيتها . قال : ويحك ! ألم تأتنى بسلامتها ؟ حسبك ! فأمر لى بخمسين ألف درهم ، وقال لحاجبه : اكتبه فى خاصة أهلى ، قال فو الله ما أتى على الحول حتى تم لى مائة ألف .

قال ابن عياش : فقلت له : هل لقيت عمك بعد ذلك ؟ قال : لا والله ولا ألقاه أبدا .

السلامانى وقريب له :

ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام !!

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عباس قال : أخبرنى موسى السلامانى ، مولى الحضرمى ، وكان أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس إذ دخل على غلام لى فقال : هذا رجل من أهل أُمِّك يستأذن عليك – وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف – فقلت : ائذن له . فدخل شاب حلو الوجه ، يعرف فى هيئته أنه قرشى فى طمرين (٢) فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ .

قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى (٣) خال رسول الله ﷺ قلت : فى الرحب والقرب . ثم قلت : ياغلام ، برَّهُ وأكرمه ، وألطفه ، وأدخله الحمام ، واكسه قميصا رقيقا ، ومبطنا قوهيا ،

---

(١) الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، ويقال توشح الرجل بثوبه وسيفه .

(٢) الطِّمر : الثوب الْخَلَق البالى .

(٣) عبدالرحمن بن عوف : أحد العشرة الذين بشرهم النبى بالجنة . كان فى الهجرتين فى الحجاز والحبشة ، وقاد القتال فى دومة الجندل .

ورداء عمريا . وحذونا له نعلين حضرميين ، فلما نظر الشاب فى عِطْفيه (١) ، وأعجبته نفسه ، قال : يا هذا أبغنى أشرف أيِّم بالبصرة أو أشرف بكر بها ! قلت : يابن أخى ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا ! .

قلت : يابن أخى ، كف عن هذا . قال : انظر ما أقول لك ! قلت : فإن أشرف أيِّم بالبصرة هند ابنة أبى صُفْرة . أخت عشرة ، وعمة عشرة ، وحالها فى قومها حالها . وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة بن أوفى الجرشى قاضى البصرة . قال : اخطبها على . قلت : يا هذا ، إن أباها قاضى البصرة ! قال : انطلق بنا إليه . فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدم . فجلس إلى القاضى ، فقال له : من أنت يابن أخى ؟ قال له : عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله ﷺ . قال : مرحبا بك . ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطبا . قال : ومن ذكرت ؟ قال : الملاة ابنتك . قال : يابن أخى ، ما بها عنك رغبة (٢) . ولكنها امرأة يُفتاتُ عليها (٣) فى أمرها ، فاخطبها إلى نفسها . فقام إلىَّ فقلت : ما صنعت ؟ قال : قال : كذا وكذا .

قلت : ارجع بنا ولا تخطبها . قال : اذهب بنا إليها ، فدخلنا دار زرارة فإذا دار فيها مقاصير ، فاستأذنا على أمها ، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ثم قالت : وها هى فى تلك الحجرة . قلت له : لا تأتها . قال : أليست بكرا ؟ قلت : بلى . قال : ادخل بنا إليها . فاستأذنا فأذنت لنا ، فوجدناها حالسة وعليها ثوب قوهى رقيق معصفر ، تحته سراويل يرى منها بياضُ جسدها ، ومرطٌ قد جمعته على فخذيها ، ومصحف على كرسى بين يديها فأشرجت (٤) المصحف ثم نحته ، فسلمنا ، فردت ، ثم رحبت بنا ، ثم قالت : من أنت ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول لله ﷺ !

---

(١) عِطْفا الرجل : جانباه والجمع : أعطاف .

(٢) رغب فيه أحبه ، ورغب عنه كرهه ، ومابها رغبة عنك أى غير كارهة له ، ولا رغبة لها فى سواك .

(٣) يفتات عليها الباطل ويختلق ؛ أو يفتات عليها فى أمرها لو لم نرجع إليها وننزل عند رأيها .

(٤) أشرجت المصحف أغلقته وضمت أجزاءه بعضها إلى بعض .

ومد بها صوته ، قالت : ياهذا ، إنما يمد هذا الصوت للساسانيين ! قال موسى : فدخل بعضى فى بعض ! ثم قالت : ما حاجتك ؟ قلت : جئت خاطبا . قالت : ومن ذكرت ؟ قال : ذكرتك . قالت : مرحبا بك ياأخا أهل الحجاز . ما الذى بيدك ؟ قال : لنا سهمان بخيبر أعطاناهما رسول الله ﷺ - ومد بها صوته - وعين بمصر ، وعين باليمامة ، ومال باليمن .

قالت : ياهذا ، كل هذا عنا غائب ، ولكن ما الذى يحصل بأيدينا منك ؟ فإنى أظنك تريد أن تجعلنى كشاة عكرمة ، أتدرى من عكرمة ؟ قال : لا .

قالت : عكرمة بن ربعى ؛ فإنه نشأ بالسواد ، ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذى باللبن ، فقال لزوجته : اشترى لنا شاة نحتلبها ، وتصنعين لنا من لبنها شرابا وكامخا .

ففعلت وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت (١) ، فقالت : يا جارية ، خذى بأُذُن الشاة وانطلقى بها إلى التياس ، فانزى (٢) عليها ! ففعلت ، فقال التياس : آخذ منك على النزوة درهما ! فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها . فقالت : إنما رأينا من يرحم ويعطى ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره ! .

ولكن يا أخا أهل المدينة أردت أن تجعلنى كشاة عكرمة . فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا ! قال : ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام ! .

ابن علفة وعبد الملك :
جنبنى هجناء ولدك !

● وعن الأصمعى قال : كان عقيل بن عُلَّفَةَ المرى غيورا فخورا ، وكان يُصهر إليه خلفاء (٣) بنى أمية ، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده ، فقال : جنبنى هجناء (٤) ولدك .

---

(١) استحرمت : الحِرْمة العُلْمة ، وطلب الذكر . (٣) يتقدمون لمصاهرته وطلب يد بناته .
(٢) اجعلى التيس يواقعها . (٤) الهجين : الذى أبوه عربى وأمه أعجمية .

ابن عُلَّفة وأولاده :

وما يُدريك ما نعتُ الخمر ؟!

● وكان إذا خرج يمتار [١] خرج بابنته « الجرباء » معه . فخرج مرة فنزلوا ديرا من أديرة الشام يقال له : دير سعد ، فلما ارتحلوا قال عقيل :

قضيت وطرا من دير سعدٍ وربما علا عُرضٌ تاطحنه الجماجم [٢]

ثم قال لابنه أجز ياعميس . فقال :

فأصبحن بالموماة يحملن فتية نَشَاوى من الإدلاج ميلَ العمائم [٣]

ثم قال لابنته : ياجرباء أجيزى ، فقالت :

كأن الرى أسقاهم صَـرْخَدِيَّة عُقَاراً تمشَّت فى المطا والقوائم [٤]

فقال لها : وما يدريك أنت ما نعت الخمر ؟! ثم سل السيف ونهض إليها ، فاستغاثت بأخيها عميس ، فانتزعه بسهم فأصاب فخذه فبرك ، ومضوا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنى المياه ، قال لهم : إنا أسقطنا جزوراً لنا فأدركوه ، وخذوا معكم الماء ! ففعلوا ، وإذا عقيل بارك وهو يقول :

إن بنـىَّ زمَّلونى بالـــدم من يلق أبطال الرجال يُكْلَم [٥]
ومن يكن درءٌ به يقـــوم شِنشِنَة أعْـرِفُهـا من أخزمِ [٦]

---

(١) الميرة : الطعام ، ويمتار لعياله يجمع لهم الطعام والمونة وفى القرآن : ﴿ ونمير أهلنا ﴾ .

(٢) العُرض : السحب تعلوه وتناطحه . وفى القرآن ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ .

(٣) الموماة : الصحراء .. والإدلاج : سير الليل كله أو فى آخره .

(٤) الصرخدية : شراب منسوب إلى صرخد ، والعقار : الخمر . والمطا : الظهر . والقوائم : الأرجل .

(٥) الكلْم : الجرح .

(٦) فى مجمع الأمثال للميدانى : كان أخزم عاقا لأبيه فمات ، فوثب أولاده على جدهم فأدموه فقال : (إن بنى ضرجونى بالدم شِنْشِنَة أعرفها من أخزم) والشنشنة الطبيعة والعادة ، يضرب : فى قرب الشبه .

الشنشنه : الطبيعة . وأخزم : فحل كريم وهذا مثل للعرب .

عبد الملك وابنة عبد الرحمن :

والله لا تَزَوَّجَنى أبو الذباب !

● الشيبانى عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأبت أن تتزوجه . وقالت : والله لاتَزَوَّجَنى أبو الذباب ! .

فتزوجهايحيى بن الحكم . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفْوه أشوه . فقال يحيى : أما إنها أحبت منى ما كرهت منك . وكان عبد الملك ردىء الفم يدمى فيقع عليه الذباب فسمى أبا الذباب .

★ ★ ★

● أخت أبى سفيان :

إن عقيلا كان مع الأحبة !

● وعن العتبى قال : خطب « قريبة » ابنة حرب أخت أبى سفيان بن حرب أربعة عشر رجلا من أهل بدر ، فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبى طالب .

قالت : إن عقيلا كان مع الأحبة يوم قتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم ! .

ولاحته [1] يوما فقالت : ياعقيل ؛ أين أخوالى ؟ أين أعمامى ؟ كأن أعناقهم آباريق الفضة ! قال لها إذا دخلت النار ، فخذى على يسارك .

---

(١) لاحَتْه : الملاحاة المنازعة .

زياد وسعيد بن العاص فى ابنته :

كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى !

● وكتب زياد إلى سعيد بن العاص يخطب إليه ابنته ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ، فلما قرأ الكتاب ، أمر حاجبه بقبض المال والهدايا ، وأن يقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : إنها أكثر من ظنك .

قال سعيد : أنا أكثر منها ! ثم وقع إلى زياد فى أسفل كتابه :

﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ (١) .

★ ★ ★

الحسن ورجل يزوج ابنته :

زوجها ممن يتقى الله !!

● وقال رجل للحسن : إن لى بنية ، فمن ترى أن أزوجها ؟ قال : زوجها ممن يتقى الله ! فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها ! .

★ ★ ★

---

(١) سورة العلق : ٦ .

عبد الملك [1] وعمر بن عبد العزيز [2] :

وصلك الله يا أمير المؤمنين !

● وقال عبد الملك بن مروان ، لعمر بن عبد العزيز : قد زوَّجَك أمير المؤمنين ابنته فاطمة ، فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كفيت المسألة ، وأجزلت فى العطية ! .

★ ★ ★

الحسن يستشار :

اليسار يسار العقل والدين !!

● قيل للحسن : فلان خطب إلينا فلانة . قال : أهو موسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم .

قال : فزوجوه .

★ ★ ★

---

(١) الخليفة الأموى (٦٤٦ - ٧١٥) المؤسس الثانى لدولة بنى أمية جلس على العرش سنة ٦٨٥ هـ وعرب الدولة ، وعمم استعمال اللغة العربية فى جميع بلاد الدولة .

(٢) من الخلفاء الأمويين . اشتهر بتقواه . أبطل لعن علىّ على المنابر التى سنها معاوية قال فيه هرقل ملك الروم عندما بلغه وفاته : إن الأخيار لا يبقون عند الأشرار إلا قليلا .

حيوة بن شريح :

تزوج بعشرة وأبق تسعين !

● قال رجل لحيوة بن شريح : إنى أريد أن أتزوج . فماذا ترى ؟ .

قال : كم من المهر ؟ .

قال : مائة .

قال : فلا تفعل ، تزوج بعشرة وأبق تسعين ، فإن وافقتك ربحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوجت عشراً ؛ فلابد فى عشرة نسوة من واحدة توافقك ! .

★ ★ ★

هبنقة القيسى وراغب فى الزواج :

البكر لك والثيب عليك !

● وقال رجل أردت النكاح فقلت : لأستشيرن أول من يطلع على ثم أعمل برأيه ؛ فكان أول من طلع هبنقة القيسى (١) ، وتحته قصبة ، فقلت له : أريد النكاح فما تشير به على ؟ قال :

البكر لك ، والثيب عليك ، وذات الولد لا تقربها ، واحذر جوادى لا ينفحك ! .

★ ★ ★

---

(١) هبنقة : لقب ذى الودعات يزيد بن ثروان – يضرب به المثل فى الحمق ؛ لأنه جعل فى عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل فسرقها أخوه فى ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها فى عنقه فقال : أخى أنت أنا فمن أنا ؟ وضرب به المثل فى الحمق ! .

مكثرٌ ومُقِلٌّ فى الزواج :

زلقة من غير ماء !!

● وعن الأصمعى قال : أخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مُقِلًّا (١) ؛ فخطب إليه مكثر من مال ، مقل من عقل ، فشاور فيه رجلا يقال له : أبو يزيد ، فقال : لا تفعل ، ولا تزوج إلا عاقلا ديناً ، فإنه إن لم يُكْرمها لم يظلمها . ثم شاور رجلا آخر يقال له : أبو العلاء ، فقال له : زوجه ؛ فإن ماله لها ، وحمقه على نفسه ... فزوجه فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته ، وأنشده فقال :

أَلهفى إذ عصيت أبا يزيد ... ولهفى إذ أطعت أبا العلاء
وكانت هفوةً من غير ريح ... وكانت زلقةً من غير ماء !!

★ ★ ★

زواج معبد بن خالد :

قالت : أنا أَسدةٌ من بنى أسد .. فخرجت ولم أَعُدْ !!

● المفضل بن محمد الضبى : قال : أخبرنى مسعر بن كدام عن معبد ابن خالد الجدلى قال : خطبت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد – وكان النساء يجلسن لخُطّابِهِنَّ – قال : فجئت لانظر إليها وكان بينى وبينها رواق (٢) ؛ فدعت بجفنةٍ عظيمة من الثريد (٣) ، مكللة باللحم ، فأتت على آخرها ، وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن عظيم مملوءة لبنا ، فشربته حتى أكفأته على وجهه .

---

(١) مقلا : قليل المال .
(٢) الرِّواق : سقف فى مُقَدَّم البيت ، والستار .
(٣) الجفنة : وعاء يفت فيه الخبز ويعد بمرق اللحم والدجاج ليصبح ثريداً .

وقالت : يا جارية ، ارفعى السجف [1] ؛ فإذا هى جالسة على جلد أسد ، وإذا شابة جميلة ؛ فقالت : ياعبد الله ، أنا أسدة من بنى أسد ، وعلى جلد أسد ، وهذا طعامي وشرابى ؛ فعلام ترانى ؟ فإن أحببت أن نتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر ! فقلت : أستخير الله فى أمرى وأنظر ! .

قال : فخرجت ولم أعد ! .

★ ★ ★

(١) السجف : الستائر .